رجال المال والاعمال

اللورد لڤرهلم

قال مؤلف «مرايا دوننغ ستريت» فيما كتبهُ عن اللورد لڤرهلم «لا اظن احداً ينازع في ان اللورد لڤرهلم اكبر ارباب الصناعة في انكلترا بل في المعمورة. انني لا اعرف احداً يناربهُ في قوة الابتكار حتى ولا في اميركا بلاد التجارة المتسعة التي انجبت كثيرين من كبار رجال المال والاعمال. فليس المستر روكفلر هناك سوى اسم للجنة من الماليين والمستر كارنجي لم يجمع ثروتهُ الطائلة الاَّ بمعونة اعوانهِ المقتدرين. اما اللورد لڤرهلم فقد انفرد في تشييد بنائهِ الصناعي العظيم وقد كانت سلطتهُ في جميع اعمالهِ سلطة الحاكم بامره» ولا نعلم لماذا لم يقارن المؤلف بين اللورد لڤرهلم والمستر فورد فان بينهما وجوه شبه كثيرة اهمها قوة الابتكار والعناية بشؤون العمال

ولد لورد لڤرهلم واسمهُ الاصلي وليم هسكث لڤر في بلدة بورتن من اعمال لنكشير ببلاد الانكليز سنة ١٨٥١ وتلقى دروسهُ الاولية في معهدها الكنسي. وكان ابوهُ بقَّالاً فانضمَّ اليهِ بعد خروجهِ من المدرسة واشتغل ببيع الصابون فصار فيما بعد اكبر صانعيهِ وقد ذكر مرة امام نفر من اصدقائهِ ان الصابون الذي كان يبيعهُ في دكان ابيهِ ترك اثراً كبيراً في نفسهِ يقرب من الحب

وكان في سنة ١٨٨٤ قد استقل في الاتجار باصناف البقالة والذهب يبسم لهُ فعزم ان يصنع الصابون لكنهُ لم يجد لديهِ ما يصنعهُ بهِ فاتفق مع شركة على ان تصنعهُ لهُ في البدء ويتولى هو بيعهُ. ولعلهُ اول رجال الاعمال الذين عرفوا قيمة الاعلان عن مصنوعاتهم فانفق حينئذٍ خمسين جنيهاً ليعلن عن صابونهِ هذا فلم يقبل عليهِ الناس اولاً. وفي احد الايام دخلت عليهِ سيدة في محل تجارتهِ وقالت «اريد مقداراً آخر من ذلك الصابون ذي الرائحة الكريهة». قال اللورد لڤرهلم «ان هذه الامرأة اثبتت لي ان الصابون جيد فعزمت ان اصنعهُ بنفسي. والرائحة الكريهة التي ذكرتها كانت ناتجة عن عفن قليل على سطح الالواح سببها فعل اكسجين الهواء بزيت الصابون ولكن الصابون كان جيد الصنع ينظف ما يغسل بهِ»

وفي السنة التالية باع محلَّ بنالتهِ واقترض مالاً من ابيهِ واشترى مصبنة في بورتون كانت تخص شركة مالية باعتهُ اياها لانها خسرت بها مبلغاً طائلاً من المال

فقضى شهوراً كاملة في اتقان صنع الصابون . بدأ في صنعه في شهر يناير سنة ١٨٨٦ بالاشتراك مع اخيه فكان معملهما يصنع ٢٠ طناً في الاسبوع . ولم تمض عليه سنة حتى زاد ما يصنعه في الاسبوع من ٢٠ طناً الى ١٥٠ طناً وكثرت عليه الطلبات فلم يستطع تلبيتها كلها مع ان المعامل كانت تشتغل ليل نهار . ويقال انه كان ينهض صباح كل يوم فيقرأ الطلبات التي وردت فيلبي الطلبات التلغرافية اولاً واذا بقي من الصابون ما يكفي لتلبية الطلبات البريدية فعل والاَّ اهملها

الملورد تفرهلم

وبعدما انقضى على شرائه لمصنعة ورلنتون نحو ١٨ شهراً رأى وجوب التوسع في عمل الصابون والعناية بشؤون عماله فاشترى ارضاً واسعة على ضفاف نهر المرسي مساحتها الآن نحو ٦٠٠ فدان وبنى معامله الجديدة فيها فادخل في بنائها احدث المبادئ العلمية في التهوية والانارة وبنى بيوتاً صحية متقنة يسكن فيها العمال . لانه اراد ان يكون المعمل اتقن ما وصل اليه العلم وان يسكن العمال في بيوت نظيفة تحيط بها حدائق غناء يجدون فيها ما يستحقونه من الراحة والهناء

كان عمله هذا ثورة اجتماعية جديدة فجعل الناس ينظرون اليه شزراً وكثير

منهم تبأً ان سينهار العمل الى الحضيض ويخسر صاحبهُ المتسرّع كل ما جمعهُ من الثروة. ولكن هذه التجربة الصناعية الاجتماعية نالت من النجاح الباهر ما تاهَ الصابون الذي يحملهُ صاحبها بدي» ببناء هذه المعامل التي تعرف الآن «ببورت صنليت» سنة ١٨٨٨ وما فُرِغَ من بنائها حتى جاءها كثيرون من المصلحين والباحثين في احوال الاجتماع من كل أُمة وجنس ليروا الاغراض الاجتماعية العالية مجسّمة في المعامل والبيوت والحدائق ودور الالعاب والاجتماعات والحفلات الخطلة ولا يزالون يفعلون ذلك الى الآن ويقدّر عدد الزائرين لمعامل صنليت بستين الف زائر في السنة

لا شك ان الورد لفرهلم بدأ صناعة الصابون وغرضهُ النجاح فيها ولكنهُ ما كان يتصور قط ان سيبلغ بنجاحهِ الدرجة العليا التي بلغها فقد طُلب من شركتهِ بناء كنائس لعمالهِ في بلاد الكنغو بافريقية لكثرة عمالهِ هناك . ويقال ان الوف الجنيهات التي ربحها في السنة الاولى جعلتهُ يفكر هل رَبِحَها حقًّا ولكنهُ بعد التأمل وجدانهُ احقُّ من غيره بها فقادهُ هذا الى النظر في حالة عمالهِ الذين اشتركوا معهُ في نجاح عملهِ فعزم ان يشاطرهم شيئًا من ربحهِ . وفي معاملهِ الآن نحو ١٢٠٠٠ عامل لهم من اسهم شركتهِ ما قيمتهُ مليونا جنيه ونصف مليون وقد نالوا ارباحًا على هذه الاسهم تبلغ ١٧٠٠٠٠٠ جنيه . وفيها ايضًا سبعة آلاف عامل أُخر مُنحوا تأمينًا على حياتهم من غير ان ينفقوا مليمًا واحدًا عليها وتبلغ قيمة هذه التأمينات مليون جنيه

من رأي ماركس ان الانتاج يتوقف على العمال فقط . ولكن اين تذهب قوة الاقدام والابتكار والتنظيم والادارة التي بدونها تتضعضع جميع الاعمال . وهذه الصفات العالية لا يأتي بها العمال بل صاحب العمل ومنشؤهُ . واللورد لفرهلم انشأ بفضل هذه الصفات ميدانًا يعمل فيهِ الوف العمال و ينالون جزاء عملهم جزاء وفاقًا

وكان شديد الثقة بالاعلان عن مصنوعاتهِ بمختلف الوسائل والطرق . يقال انهُ استعمل الصور المتحركة وسيلة للاعلان سنة ١٨٩٧ حين كانت الصور المتحركة في مبدئها وفي تلك السنة اعلن عن صابون « صنليت » في مسابقة اتومبيلات جرت بين لندن وبريطن . وهذا يدلك على تشيعهِ مع الزمن وادراك الفرص حين سنوحها وقبل ان يدركها غيرهُ . ولا يزال كثيرون يذكرون اعلانًا كبيرًا نظمهُ اعوانهُ في جنيف وهو اجراء مسابقة كبيرة بين غاسلات اوربا على ضفاف بحيرتها . فامَّ تلك المدينة غاسلات من كل انحاء اوربا وكانت المباراة اعظم اعلان عرف حتى الآن

كان لفورد فرهلم ذاكرة قوية وكان عقلهُ خزانة حافلة بالحقائق والفوائد . قال اللورد ردل في مقال كتبهُ عنهُ انهُ كان قادراً ان يعدد فروع اعمالهِ العظيمة وكل انواع اسهمها واسعارها واثمان البضائع الاولية التي يشتريها واجور العمال وما ينفقهُ على الاعلانات . ولم تنحصر معرفتهُ في الامور المالية والتجارية بل ضرب بسهم وافر في العلوم الاقتصادية وكان من اكبر هواة الاثاث القديم والصور وفن العمارة . كان في وسعهِ ان يطلعك على تاريخ كل قطعة اثاث او صورة في مجموعتهِ الكبيرة النادرة . قال اللورد ردل زرتهُ مرة في قصرهِ وحدث انهُ كان يبحث عن كتاب فسار بي الى غرفة النوم فوقع نظري على صوَر ازهار فسألتهُ عنها فقال أنظرُ اليها كل صباح فتنشطني ثم شرع يحدثني عن مصوّريها وتاريخها واسعارها واين اشتراها وفي اي وقت بما يدلُّ على تذكر من ناصية الفن . وقد انشأ متحفاً للفن في بورت صنليت تذكاراً لزوجتهِ التي كانت لها اليد الطولى في نجاحهِ . ويقال ان في ذلك المتحف كاساً سوداء اشتراها بثمان مائة جنيه وقد عرض عليهِ ٣٠ الف جنيه ثمناً لها فلم يبعها . واشترى سنة ١٩٠٣ دار مستفرد مقر دوق سذرلند واهداهُ الى الحكومة لتجعلهُ داراً لمتحف لندن

كان ينام باكراً وينهض باكراً فلا يتأخر في نهوضهِ عن الساعة الخامسة ويبدأ عملهُ كل يوم في الساعة السادسة ولا يستريح الاَّ ساعة واحدة بعد طعام الغداء . وقد ابتكر طريقة لكتابة رسائلهِ فكان يستدعي ثلاثة من الكتاب الذين يجيدون الاختزال ويملي عليهم الرسالة التي يريد كتابتها فيدونونها ثم يقابلون ما دونوهُ ويصلحون الاغلاط ويتولى احدهم طبع الرسالة على الآلة الكاتبة . وذلك لكي لا يراجعها ويضيع الوقت في اصلاح اغلاط يقع فيها الكاتب لو كان وحدهُ

هذا وقد انشأ فروعاً لاعمالهِ في المانيا وفرنسا وسويسرا واستراليا والولايات المتحدة وكندا واليابان وغيرها واشترى في بلاد الكنغو البلجيكية حراجاً واسعة الارجاء كان يستورد منها زيت النخل وانشأ فيها مستعمرة سنة ١٩١١ سماها للفريل اي مدينة لفر وهذا اسم عائلتهِ الاصلي . واشترى سنة ١٩١٨ جزيرة لوس من جزائر هبريديز قرب اسكتلندا وغرضهُ ان يجعلها مركزاً لصيد السمك بالانتظام . وشخ لقب بارونت سنة ١٩١١ ولقب بارون لفرهلم سنة ١٩١٧ ولقب ڤيكونت سنة ١٩٢١ . وقد بلغ رأسمال شركتهِ المقرر ١٣٠ مليون جنيه سنة ١٩٢٢ أكتتب بستة وخمسين مليوناً منها وحاملو سنداتها عددهم ١٦٩ الف شخص . وكانت وفاتهُ في ٧ مايو الماضي